فقه الدولة و فقه الجماعة

أ.د / محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

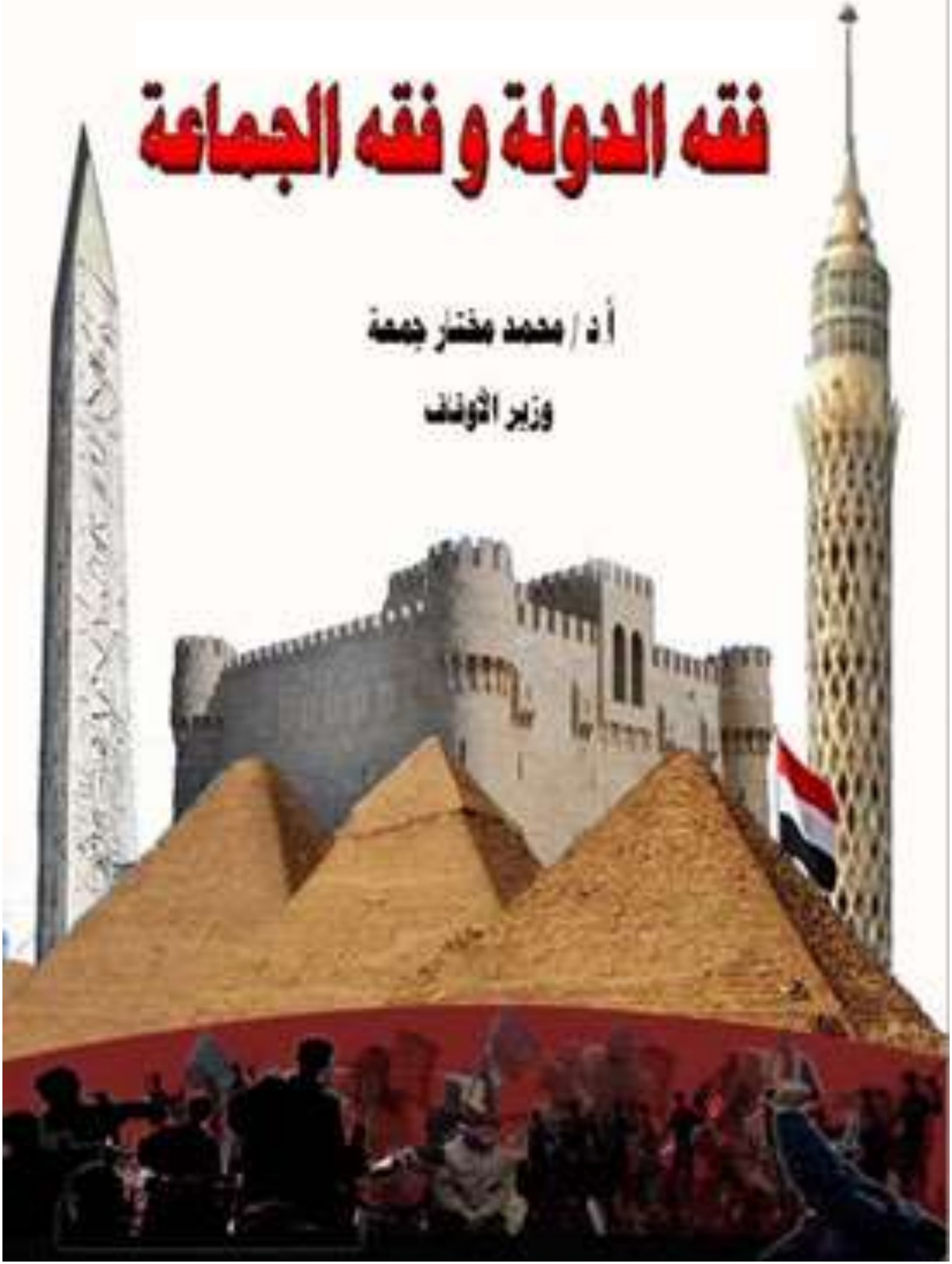

هذا ملخص لكتاب فقه الدولة وفقه الجماعة ، وشتان ما بين الفقهين، إذ فقه الدولة يقوم على الوعي بالتحديات التي تواجهها ، وسبل الحفاظ عليها ، وحتمية الدفاع عنها ، والذود عن حياضها ، والتضحية في سبيلها ، بخلاف فقه الجماعة الذي يقوم على نفعية الجماعة القائمة في الغالب الأعم على محاولات إضعاف الدولة ، وقصد الإيقاع بنظامها وإحلال الجماعة محله، حتى لو أدى ذلك إلى إسقاط الدولة أو محوها من خارطة العالم ، بتفكيكها إلى كيانات صغيرة لا تنفع ولا تضر ، أو حتى بشطبها نهائيًّا من عالم الوجود كدولة.

وتزعم تلك الجماعات أنها حامية حمى الدين ، مع أنها حرفت الكلم عن مواضعه ، ولوت أعناق النصوص ، وهو ما حذرنا منه نبينا (صلى الله عليه وسلم) ودعانا إلى مواجهته وبيان زيغه وزيفه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : " يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"، هذا بعض ما قدم به معالي وزير الأوقاف أ.د / محمد مختار جمعة لهذا الكتاب.

ويقع الكتاب في (٧٠) صفحة من القطع المتوسط ، وقد تناول مجموعة من القضايا بالغة الأهمية لا سيما في هذه المرحلة ، فتناول تصرفات النبي (صلى الله عليه وسلم) في إدارة الدولة ، مبينًا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن نبيًّا فحسب ، إنما كان (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولاً وقاضيا وحاكمًا وقائدًا عسكريًّا ، فما تصرف فيه بوصف يجب مراعاة ذلك الوصف، وإلا لم يأت الحكم بثماره، ولا بمقصوده.

كما تناول الفوارق بين فقه الدولة وفقه الجماعة ، واختلاف منابع كل منهما، وكذا اختلاف الدوافع والأغراض ، والأهداف، وقد قالوا : رجل فقير في دولة غنية فتية قوية خير من رجل غني في دولة ضعيفة فقيرة هزيلة ؛ لأن الأول له دولة تحميه ، والآخر لا سند له لا في الداخل ولا في الخارج ، ثم تناول

الكتاب إدارة الدول بين الخبرة والهواية ، وقيام الدول وسقوطها ، ذاكرًا أهم الأمور التي تؤدي إلى انهيار الدول، كانتشار الفساد بكل أشكاله من المجاملة والرشوة والمحسوبية وتقديم الولاء على الكفاءة، وكشيوع الظلم بغياب القضاء العادل ، وكغياب الأمن وضعف سلطة الدولة وقيام العصابات أو الجماعات، وكتدهور القيم ، وتدهور الأحوال المعيشية للأفراد بما يخل باحتياجاتهم الأساسية ، ثم تناول الكتاب مخاطر السقوط الاقتصادي للدول، مبينًا أن الإسلام دعا إلى زيادة الإنتاج من خلال العمل الجاد الدءوب ، وإلى ترشيد الاستهلاك حتى أقصى درجة ممكنة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِى يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا "، وفي الدعوة إلى ترشيد الاستهلاك ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : " مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ."

ثم تعرض الكتاب لقضية من أهم القضايا المعاصرة، من خلال الحفاظ على الأوطان باعتباره من المقاصد الضرورية للتشريع، ومن خلال السلطة في منظور الجماعات المتطرفة ، ليتأكد أن الإسلام لم يضع قالبًا جامدًا صامتًا محددًا لنظام الحكم لا يمكن الخروج عنه ، وإنما وضع أسسًا ومعايير متى تحققت كان الحكم رشيدًا يقره الإسلام ، ومتى اختلت أصاب الحكم من الخلل والاضطراب بمقدار اختلالها.

وعرض كذلك الكتاب لمفهوم المصلحة بين منظور الدولة ومنظور الجماعة ، والتعددية السياسية والسلطات الموازية ، والخلاف الفقهي والخلاف السياسي، والعلم بين منظور الدولة ومنظور الجماعة ، وأن المنتظر من العلماء والفقهاء والمفكرين العقلاء في كل زمان ومكان أن يكونوا رجال فكر وعقل ، ودعاة أمن وسلام بحق وصدق وإخلاص، مستحضرين منهج الإسلام في ترسيخ

أسس التعايش السلمي بين البشر جميعًا ، مؤثرين المصالح العليا للإنسانية على مصالحهم الشخصية الضيقة.

ثم عرض الكتاب للدولـــة لا الفوضـــى و دولة المؤسسات ، والإمـام العـادل ، والحفاظ على النظـام العـام وفهم المشتركات الإنسانية في الشرائع السماوية وأثره في بناء الدول ، وأنه لا قتل على المعتقد ، والعواصم والحدود وبناء الدول ، والسماعون للكذب ، والديــن والدولــة، ليصبح واضحا أن كل ما يدعم صمود الدولة الوطنية و بناءها ، ويعزز مكانتها هو من صلب الدين ، وكل ما يهدد كيانها وينال من وجودها أو يسعى في أطرافها فسادًا أو إفسادًا إنما يتنافى مع كل مبادئ الدين والقيم والوطنية ، ويعد خيانة للدين والوطن ، وعمالة لأعدائهما المتربصين بنا .

وأن المسئولية الأكبر إنما تقع على عاتق علماء الدين والمثقفين والإعلاميين والكتاب ، لما لكل هؤلاء من أثر بالغ في صناعة الوعي ، ومواجهة التحديات، وتفنيد الشائعات ، وإبراز الحقائق ، وكشف حجم المؤامرات ، وهو ما يعيه ويتبناه كثير من كتابنا ومثقفينا وإعلاميينا الوطنيين جيدًا ، ويعملون على التوعية به ما وسعهم السبيل ، غير أننا في حاجة إلى تحويل هذه الظواهر الإيجابية إلى حالة وعي عام واستنارة عامة وتوعية شاملة أو قل تعبئة فكرية عامة، تتوازن وحجم ما يحاك لأوطاننا من مؤامرات لم تعد خفية على لبيب ولا غير لبيب.